# أدوات التواصل الثقافي والاجتماعي بين العرب وأفريقيا

د. سعاد هاشم قصيبات
قسم علم النفس - جامعة مصراته

## مقدمة[1]:-

ظلت القارة الأفريقية قرونا عديدة فاقدة لوعيها بذاتها و بهويتها الثقافية والقومية ولوحدتها ، بسبب نقص التعليم فيها وما ترتب عن هذا النقص من تخلف ثقافي واجتماعي مما تيسّر استعمارها وجعلها لقمة سائغة للغزاة الغربيين المستعمرين عندما بدأت حركة الاستعمار الغربي الحديث مدفوعة بدافع الجشع والرغبة في توسيع رقعة نفوذها وفي الحصول على ثروات وخامات أفريقيا و في تسخير الطاقات البشرية الأفريقية في خدمة التنمية الزراعية و الصناعية الأوروبية. وما كان للمستعمرين الأوربيين ،علي اختلاف أوطانهم، لينجحوا في استعمارهم لمعظم أجزاء القارة الأفريقية، لو كانت أفريقيا قوية ماديا ومعنوياً.

فضعف أفريقيا المادي والمعنوي في تلك الأزمة جعلها مهيأة لما تعرضت له من استعمار. وإذا كان ضعفها المادي في ذلك الوقت يتمثل في تخلفها العلمي والتقني والصناعي والاقتصادي.

فإن ضعفها المعنوي كان يتمثل في تخلفها الثقافي والاجتماعي وفي عدم وحدتها وفي قلة وعيها بذاتيتها وهويتها وشخصيتها المتميزة. ولعل ضعفها المعنوي كان أكثر خطورة وأكثر إعاقة لها في مواجهة ما تعرضت له من غزو وأخطار وتغييب لهويتها الثقافية وانجرافها في تيار الثقافة الغربية الاستعمارية.

[1] - نشر هذا البحث في العدد الخامس من المجلة، ونظرا لأهميته وعلاقته بهذا العدد رأينا إعادة نشره.

ولكن من حسن الحظ أن حالة التخلف الثقافي والاجتماعي وفقدان أو ضعف الوعي الوطني – كما قال "جوليوس نيريري" في كتابه الاعتماد على الذات في أفريقيا – ما لبثت أن تغيرت بعض الشيء وبدأت الصحوة الأفريقية مع انطلاق ثورة الفاتح العالمية بقيادة المفكر **معمر القذافي**، ومع انطلاقتها عام 1969 ساندت ثورة الفاتح قضية الحرية في كل مكان انطلاقا من الرؤيا الصحيحة لمفهوم الحرية لما تشتمل عليه من بعد إنساني وفي إطار دورها الريادي الداعم لقضايا الإنسان، وفق أسس مبدئية ثابتة تنتهج الحق وتقوم على العدل وتدعو إلى المساواة.

رفعت ثورة الفاتح شعار (لا شرقية ولا غربية) وبذلك استطاعت تحديد هويتها الإنسانية التي مكنتها من الخروج من الدائرة المفرغة وكسر أول حلقات التبعية. وإدراكا من القائد العظيم أن قضية الحرية واحدة، وأن الواجب الإنساني والديني يدعوان إلى مناصرتها، وأن خروج أفريقيا من دائرة النفوذ والهيمنة بكل أبعادها وأشكالها هو شرط موضوعي لتقدمها. فقد رفعت ثورة الفاتح شعار أفريقيا للأفريقيين ولا حلف لأفريقيا إلا مع نفسها، وهو ما التزمت به عبر مسيرتها.

وتشير أكثر الكتابات التي تناولت تحليل العلاقات العربية الأفريقية في العقد الأخير إلى تركز الاهتمام حول تلك العلاقات في أطرها السياسية والاقتصادية – والقليل من هذه تركز الاهتمام حول تلك العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية الأفريقية من منظور التحليلات من خلال تناول العلاقات الثقافة والاجتماعية العربية الأفريقية من منظور معاصر، إذ تتركز معظم الكتابات والدراسات – في هذا المجال – حول الأبعاد التاريخية للثقافية العربية في أفريقيا منذ دخول الإسلام إلى القارة أو في المراحل السابقة على ذلك بهدف تأصل هذه العلاقة وبيان الارتباط الجدري بين طرفيها

وفي واقع الأمر ، فإن أكثر كتابات وتحليلات العلاقات العربية الأفريقية تعكس – إلى حد كبير – واقع ومسارات تلك العلاقات في الفترة ذاتها ، والتي اتخذت أهدافا و دوافع اقتصادية و سياسية في المحل الأول : بينما شكلت الأبعاد الثقافية جزئية ضئيلة في محاولات التقارب العربي الأفريقي المعاصر وقد تركت هذه الحقيقة ظلالها على تلك المحاولات،

حيث افتقرت إلي الجذور الثابتة التي تمنحها الاستمرارية ،وبعدت عن التأثير والتعامل مع جوهر العلاقات وهو الإنسان بقيمه وفكره وشخصيته وحضارته السابقة ،ومن ثم اختياراته وقراراته .

وتهدف هذه الورقة إلي تركيز الضوء علي أدوات التواصل الثقافي والاجتماعي في ظل الاتحاد العربي الأفريقي مشيرة إلي العلاقات الثقافية والاجتماعية العربية الأفريقية وتحديد ملامحها تاريخيا ثم تحليل واقعها المعاصر بهدف النظر إلي تقوية عوامل التواصل الثقافي والاجتماعي .

## أولاً :- الملامح التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب و الأفارقة.

يختلف الكتاب والدارسون حول العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية في تحديد نقطة بدء التواصل بين هذه الثقافات.

فالبعض يتناول هذه العلاقة في إطار مرحلة انتشار الإسلام في مشرق القارة الأفريقية ومغربها ، باعتبار أن هذا الانتشار قد حمل في طياته عناصر الثقافة العربية التي تزاوجت مع الثقافات الأفريقية. والبعض الآخر يدرس هذه العلاقة في إطار أوسع و أعمق تاريخيا، إذ يرجعون هذه العلاقة إلي أصولها الأولي، في فجر التاريخ ومرحلة ما قبل الإسلام.

وفي الواقع فإن النظرة إلي العلاقات الثقافية العربية الأفريقية من خلال هذا المنظور الضارب في أعماق التاريخ ، يعطي لها معاني وأبعادا أوسع وأرحب من مجرد كونها علاقات دينية، أو علاقات بين شعوب ترتبط فيما بينها برباط الإسلام – علي الرغم من كون الدين الإسلامي أحد الركائز الجوهرية التي ترتكز عليها الثقافة العربية وأحد المحاور الرئيسية التي تدور حولها العلاقات بينها وبين الثقافات الأفريقية. كذلك فإن امتداد تلك العلاقات منذ مرحلة بدء ظهور الحضارات في العالم، يؤكد حتمية الارتباط الحضاري بين العرب والأفارقة، ويبرز هذا الارتباط كعلاقة عضوية طبيعية كما يبين أن توجه كل من المنطقتين إلي الأخرى تفرضه ظروف التلاحم الحضاري بينهما على مر العصور، الأمر الذي يدعم الاعتقاد بضرورة امتداد هذا التلاحم إلي أزمان قادمة مستقبلا .

وتزخر أدبيات العلاقات الثقافية بين العرب و أفريقيا بالعديد من الدراسات الجادة التي وضعتها في هذا الإطار التاريخي[1]. منذ بدء ظهور الحضارات الإنسانية في المنطقة ، وحتى مرحلة التكالب الاستعماري على القارة ، وما أدى إليه من اغتراب و تشويه للحركات الثقافية في المنطقتين . وليس هنا مجال تكرار ما ورد في هذه الدراسات من حقائق تاريخية ، ولكن يمكننا استخلاص المؤشرات التالية منها :-

1- تمتدُّ العلاقات الثقافية بين الجنوب العربي و الشرق الأفريقي إلى أكثر من ثلاثين قرنا مضت ، حيث تدل النقوش الأثرية في المنطقتين على وجود علاقة ثقافية بينهما في القرن الثامن قبل الميلاد . كذلك تستمد ثقافة الشرق الأفريقي الكثير من ظواهرها من ثقافة الجنوب العربي – التي تعرف بالثقافة القحطانية والتي وجدت في مرحلة ما قبل الإسلام. ولكن نتيجة التغييرات الجذرية التي تحققت في الجنوب العربي بفضل الإسلام وانتشار الثقافة العربية الجديدة – ثقافة الشمال العدنانية – فإن الصلات القديمة قد نسيت، وبمضي الزمن أعتقد العرب والأفارقة أن ثقافة الشرق الأفريقي ثقافة أفريقية خالصة ليس لها صلة بالثقافة العربية. ومع ذلك فإن الدلائل كثيرة على هذا التواصل الثقافي، حيث يقرر اللغويون أن للغة الأمهرية الحالية هي اللغة الحميرية القديمة، ويقص القرآن الكريم قصة أصحاب الأخدود، مما يدل على قيام علاقات دينية بين المنطقتين في مرحلة ما بعد الميلاد وقبل ظهور الإسلام[2].

2- تشير الوثائق والآثار المصرية القديمة إلى امتداد علاقة مصر بشرق القارة وربما بجنوبها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، حيث يوجد تشابه بين تقاليد القبائل التي تعيش على النيل حتى هضبة البحيرات (الشيلوك والدنكة) وتقاليد الحكم عند المصريين القدماء، كما تتعدد الصور الثقافية والاجتماعية المتشابهة مع الثقافة المصرية القديمة و نمط الحياة الاجتماعية في أكثر من مكان في القارة[3] .

---

[1] . انظر: عصام محسن الجابوري: العلاقات العربية الأفريقية، 1977، بغداد.

[2] . محمد أحمد خلف الله: "الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب وأفريقيا " في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دراسات في العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، القاهرة، 1979، ص 41-47.

[3] . عبد الغني سعودي : "الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة " في العلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ، 1978 . من 4- ص7 .

كذلك فقد عبرت حضارات الشرق الأوسط القديمة الطرف الشمالي الشرقي للقارة الأفريقية. فهناك قبائل في غرب أفريقيا لها أصول آشورية وبابلية، وكون الفينيقيون المستعمرات التجارية في شمال أفريقيا فقد أنشأت ثلاث مدن في ليبيا وهي: لبدة وأويا (طرابلس ) وصبراته ، كذلك مدن أخرى في تونس في منطقة قرطاج. وامتد اتصالهم إلى ما وراء جبل طارق[1].

3- ساهمت هذه الإرهاصات من الاتصال الثقافي والاجتماعي والحضاري منذ فجر التاريخ في سهولة وسرعة انتشار الإسلام – بما حمله من ثقافة عربية بمعناها المعاصر – في القارة الأفريقية وكان الإنسان العربي الفاتح الذي أستقر في الشرق والشمال الأفريقي هو الأداة في نقل تلك الثقافة التي أحدثت تغييرات جذرية في الثقافات الأفريقية، فطورت من الأساليب التي تمارس بها الحياة، وبخاصة في الزراعة والتجارة وبناء المساكن. وكما انتشر الإسلام عن طريق الغزوات، ساهمت قوافل التجارة إلى الغرب الأفريقي في نشر الرسالة والثقافة العربية أيضاً. فقد كانت المسالك التجارية بحق طريقاً للمعرفة والتبادل الثقافي بين الحضارات العربية والأفريقية، حيث حمل التجار العرب معهم مفاهيم للسلطة والقضاء والدين وميزاتهم العمرانية. فصارت عواصم تجارة القوافل عبر الصحراء مراكز للثقافة الإسلامية ونوافذ على العالم المتوسطي[2].

كذلك ارتبطت الثغور الإسلامية في شرق القارة وغربها بإسهامها في إنشاء الجامعات والمعاهد العربية الإسلامية، فأقامت علاقات قوية مع مراكز العلم العربية في القيروان والأزهر والحرمين الشريفين، وتبادلت معهم البعثات المنتظمة. ومن خلال هذه العلاقة، أدى المثقفون الأفارقة دوراً تاريخياً أصيلاً في نشر الفكر الإسلامي واللغة والثقافة العربية، ما زالت آثاره باقية في آلاف المخطوطات[3].

---

[1] . عبد الغني سعودي: مرجع سابق. ص8.

[2] . خلف الله : " الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب وأفريقيا " ص 44)ص45، وخليفة الشاطر " الروابط الثقافية بين الوطن العربي وشعوب القارة الإفريقية " في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دراسات في العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، ص 63.

[3] . طه حسن النور: " العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة " مجلة شئون عربية، (جامعة الدول العربية) العدد ((12)) (فبراير 1982) ص 150.

4- ولم تكن العلاقات الثقافية العربية الأفريقية علاقة ذات اتجـــاه واحـــد، بقدر ما كانت علاقة تبادلية. فقد سارت هذه العلاقات في مسارات عكـــسية أيضاً من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق، في إطـــار حركـــة اتصال الأفارقة بالأزهر والقيروان وفي الحج إلى الأراضي المقدسة. الأمر الذي أسهم في تذوق العرب للثقافات الأفريقية، وأكسب الثقافة العربية بعض الملامح الأفريقية[1].

فعلى الرغم من عدم التوازن في عملية الاختراق الحضاري والثقـــافي والاجتماعي بين العرب والأفارقة، إلا أن ذلك لا يدعو إلى القـــول بفـــشل الأفارقة في ممارسة اختراق عكسي في الحضارة العربية. فالشعوب التـــي اعتنقت الإسلام، اتخذت منه نظاماً كاملاً في الحياة وأسهمت في الحـــضارة الإسلامية استيعابا وإبداعاً، كما شاركت فـــي صـــنع التـــاريخ الـــسياسي الإسلامي مشاركة فعالة. لقد نشأت في القرن السادس عشر حركة فكريـــة ناضجة في غرب أفريقيا اختلطت بالثقافة الإســـلامية العربيـــة، وكونـــت المدرسة الأفريقية، التي برز فيها المؤرخون وكتاب التراجم، والمؤلفون في علوم التفسير واللغة، والأدباء والشعراء الذين أعطـــوا الحركـــة الفكريـــة الأفريقية دماً جديداً، وأثروا في الثقافة الإسلامية العربية بما أنتجـــوه مـــن مؤلفات متميزة[2].

5- منذ أواخر القرن التاسع عشر، فرض الاســـتعمار الأوروبـــي علـــى الشعوب الأفريقية والعربية إلى حد ما – نوعاً من الاغتراب الثقافي، فصلها عن جذورها، وشوه هويتها وربطها بالثقافة الغربية لضمان استمرار الوجود الأوروبي بصفة دائمة. والمجال لا يتسع لتعديد وسائل الاستعمار في ذلـــك، ولكن تكفي الإشارة إلى سيطرته على المؤسسات التعليمية والثقافية لتخريج أجيال من القيادات ترتبط بالحضارة الأوروبية إلى جانب إعادة كتابة اللغات الأفريقية بالحروف اللاتينية بعد أن كانت مكتوبة بالحرف العربي، وتعميق الخلافات الثقافية بتقسيم أفريقيا إلى عربية وزنجية، أو بيضاء وســـوداء، أو ناطقة بالفرنسية وأخرى ناطقة بالإنجليزية. وفي هذا المجال كان الاستعمار

[1] . طه حسن الفور: العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة، مرجع سابق، ص151.
[2] . محمد العزبي: " بداية الحكم المغربي في السودان الغربي " بغداد، دار الرشيد للنشر، 1982، ص509، ص 563.

الفرنسي أنشط بمؤسساته الثقافية والفكرية، في إطار سياسته في استيعاب المستعمرات في فرنسا الأم[1] ولذلك نرى النزاعات الثقافية المتمثلة في حركة (النيجر تيبد) أو (الزنوجة) تخرج من المستعمرات الفرنسية السابقة، كما خرجت أيضا الدعوة إلى جامعة الدول الأفريقية السوداء والتي نادى بها موبوتو.

وعلى الرغم من عمق الفجوة التي أقامها الاستعمار بين الثقافات الأفريقية وأصولها الممتزجة بالثقافة العربية، إلا انه ظلت هناك بعض الحركات الإصلاحية التي أصرت على مقاومة الاستعمار، فأنشأت المدارس الإسلامية جنبا إلى جنب مع المدارس التبشيرية، بالإضافة إلى استمرار حركة البعثات من أفريقيا إلى الجامعات والمعاهد الإسلامية. وفي الغرب الإفريقي قاومت المراكز الحضارية الإسلامية الاستعمار الأوروبي أكثر من الشرق الأفريقي، إذ استمر انتشار الإسلام في الغرب بالرغم من الجهود الهائلة التي بذلتها البعثات التبشيرية المسيحية. وبالرغم مما حملته الحضارة الغربية من إبهار تكنولوجي[2].

## ثانياً: العلاقات الثقافية بين العرب وأفريقيا في فترة التحرر من الاستعمار.

قبل الحديث عن المجالات التي انتظمت عليها تلك العلاقات، يمكن الإشارة بإيجاز إلى تأثير قيام الثورة المصرية عام 1952م على الثقافة السياسية للقارة الأفريقية، ففي هذه الفترة حملت مصر لواء نقل العلاقات العربية الأفريقية إلى مرحلة جديدة جوهرها فكرة التحرر والوحدة بين شعوب العالم الثالث من أجل التنمية ومواجهة الاستعمار بجميع صوره وألوانه.

وفي إطار اليقظة الأفريقية وإعادة توثيق الروابط العربية الأفريقية، برزت العلاقات الثقافية كأحد المحاور المهمة التي حاولت مصر أن تنسج عليها علاقاتها مع القارة.

---

[1] . محي الدين صابر: " العلاقات الثقافية بين أفريقيا والعرب " بحث قدم إلى : ندوة العرب وأفريقيا التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي، عمان، أبريل 1982ف. ص499-500.

1. Ali Mazrui, afrecas international relations: The diplomacy of dependency and change, (London: Heineman. 1977. p. 130)

وقد اتخذت العلاقات المصرية الأفريقية في تلك الفترة المسارات الآتية:-

1. الإذاعات الأفريقية الموجهة من القاهرة: وقد بدأتها مصر عام 1954 بالإذاعة باللغة السواحيلية الموجهة إلى شرق أفريقيا، ثم تتابعت الإذاعات بلغات الهوسا واليوروبا إلى غرب أفريقيا، والصومالية والتجرينية إلى شرق أفريقيا والزولو إلى جنوب القارة، إلى جانب اللغات المستخدمة رسمياً في مناطق أفريقيا وهي الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية والأسبانية والعربية. وقد ارتبطت نشأة هذه الإذاعات بتأييد حركات التحرر والثورات الأفريقية، وفي حالات معينة كانت تخصص الإذاعة الموجهة لتذيع باسم حركة أو تنظيم، مثلما حدث أثناء ثورة الكونغو، وبعد إعلان استقلال روديسيا من جانب النظام العنصري، وكذلك بالنسبة لموزمبيق[1].

ولقد استحوذت البرامج الإعلامية على نسبة مرتفعة من حوار البرامج الموجهة منذ الخمسينات وحتى أواخر الستينات. وقامت هذه الإذاعات الموجهة بالتعريف بالحضارة العربية، وخدمت أهدافاً قومية عربية، وكشفت أبعاد الخطر الإسرائيلي في أفريقيا[2].

2. فتحت مصر أبوابها لتعليم الطلاب الوافدين من القارة الأفريقية بتقديم المنح الدراسية لهم في جميع التخصصات، وتوسعت في هذه المنح فلم تقتصر على الدول الإسلامية أو طلاب الأزهر الشريف، بل أنها قدمت بعض هذه المنح إلى الأطفال الأفارقة لاستكمال تعليمهم الثانوي في المدارس المصرية.

كما خصصت بعض تلك المنح للثوار الأفارقة من الكاميرون و كينيا و جنوب أفريقيا و غيرها . كذلك أنشئ معهد الدراسات الأفريقية[3] عام 1955م.

3. تطوير الأزهر الشريف وتوسيع مجالات الدراسة فيه لتشتمل على بعض الكليات العلمية، بهدف اجتذاب الأفارقة المسلمين للدارسة فيه، وخلق نخبة متعلمة مسلمة ترتبط بمصر وبالوطن العربي ارتباطا عضويا.

---

[1] ـ محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1982. ص36-37.
[2] ـ أحمد يوسف القريمي: حيز الاهتمام العربية الفعلي بالأريقيا، ورقة قدمت إلى : ندوة العرب وأفريقيا.
[3] ـ عصام محمد الجبوري: العلاقات العربية الأفريقية. دار الرشيد. 1978ف. ص412.

كذلك أقامت مصر في تلك الفترة العديد من المساجد في أفريقيا إلى جانب المراكز الإسلامية التي تجمع المسجد مع المدرسة وتقدم العلاج المجاني، كما قام الأزهر بالمساهمة في فتح كلية إسلامية في مقديشو وأخرى في شمال الصومال[1].

4. إنشاء الرابطة الأفريقية في القاهرة في أواخر عام 1955م كهيئة لها نشاط سياسي وثقافي تهدف إلى تقديم التسهيلات لمكاتب حركات التحرر الأفريقية في القاهرة.

وإقامة تجمع ثوري أفريقي تتبادل هذه الحركات من خلاله المعلومات والخبرة. كذلك كان من أهدافها نشر الوعي الأفريقي بين المصريين وخلق المجال المناسب لتعارف المثقفين المصريين والأفارقة من أعضاء المكاتب السياسية، ومن الشباب الأفريقي الذي يدرس في مصر[2].

وفي الواقع فإن الجهد الذي بذلته مصر في قيادة التوجه العربي نحو القارة الأفريقية وفي استعادة الصلات الثقافية معها في تلك الفترة كان يواجه بصعوبات ومقاومة صلبة نتيجة للجهود الاستعمارية التي أقامت حائطاً من الخوف والكراهية في نفوس الكثير من الأفارقة تجاه الوطن العربي. وقد برر الغرب وجوده الاستعماري في شرق أفريقيا وجنوبها تحت ستار الدفاع عن الأفارقة ضد الغزو الديني الإسلامي وضد تجار الرقيق القادمين من شبة الجزيرة العربية[3] لذلك فإنه في بداية الخمسينات كانت اتجاهات بعض الأفارقة نحو الوطن العربي تتسم إما بعدم الاكتراث أو بالعدوانية والكراهية تجاه كل ما هو عربي. وكثيراً ما كان الاستعمار يفسر الجهود المصرية في أفريقيا على أنها محاولات لاستعادة الإمبراطورية المصرية في القارة[4] الأمر الذي يفسر جزئياً قيام بعض التكتلات السياسية في بداية الستينات بين عدد من الدول الأفريقية.

---

[1] محمد فائق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، مرجع سابق، ص80-81.

[2] محمد فائق: المصدر السابق، ص45-46.

2. Onari Kakle, thearabs and black Africa : an African perspective Adessertation submitted in partial fulfillment for the requirements of an M.A.Degree, manche steruniverity, 1979, p.7.

3. 10. Ale Mazrui, afrecas international relations: The diplomacy of dependency and change,. 1977. p. 134.

وبرغم احتلال أفريقيا لمكانة بارزة في الفكر السياسي المصري على المستوى الرسمي إلا أن رجع الصدى لسياسة مصر الأفريقية على المستوى الشعبي لم يعكس الهوية الأفريقية لدى المثقفين والأدباء والمفكرين المصريين بالقدر نفسه، لقد جاء الإنتاج الفني والفكري والأدبي دون الواقع الأفريقي لمصر، وربما كان ذلك بسبب اغتراب المثقف المصري نفسه وعزله عن الواقع الأفريقي.

وإذا كنا قد أفضنا في تناول التجربة المصرية الرائدة في إحياء المشاعر والجهود العربية للوحدة مع أفريقيا، فإن ذلك لا يقلل من شأن بعض التجارب التحررية العربية الأخرى مثل تجربة ثورة الجزائر التي صدرت الثورة إلى العديد من المستعمرات الفرنسية الأفريقية، التي كانت تعاني من الاستعمار الثقافي بهدف مسح حضارتها وتزييف هويتها الأفريقية. وقد فتحت الجزائر أبواب جامعاتها للطلبة الأفارقة، فضلاً عن جهودها في عقد الاتفاقيات الثنائية وتنظيم المهرجانات الثقافية مع الدول الأفريقية[1].

كذلك فإن الإذاعة السعودية وضعت ضمن برامجها برنامج اللغة السواحيلية منذ عام 1963ف بهدف تبصير الحجاج بأمور دينهم بآداب الحج وتحقيق التضامن الإسلامي بين الشعوب المسلمة في جميع أرجاء العالم[2].

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات العربية الأفريقية بصفة عامة والثقافية بصفة خاصة في فترة الخمسينات والستينات – قد انتظمت في مجملها على مستوى العلاقات الثنائية وأنه في هذا الإطار كانت العلاقات تقوم بين (منطقة الترابط الجغرافي) – أي الدول العربية الأفريقية – وبين بقية دول القارة.

ولقد قامت أجهزة التعاون الثقافي التابعة للجامعة العربية في الميدان الأفريقي بتوسيع نظام المنح الدراسية لطلاب أفريقيا في الجامعات العربية بهدف التصدي للاستعمار الثقافي في القارة، وكذلك تركيز الجامعة في فترة

[1] . فايق: عبد الناصر والثورة الأفريقية، مرجع سابق، ص188.
[2] . الترعي: حيز الاهتمام العربي السياسي الفعلي بأفريقيا ، مرجع سابق، ص308.

الستينات على تنسيق العمل الإعلامي ودعم المكاتب الإعلامية للجامعة في الدول الأفريقية[1].

دخلت العلاقات العربية الأفريقية مرحلة جديدة في عقد السبعينات تميزت بمتغيرات اختلفت إلى حد كبير عن المراحل السابقة. فقد بدأ الفهم والوعي العربي الأفريقي يتجهان إلى معالجة التركة الاستعمارية الثقيلة وتجاوز واقع ما بعد الاستقلال بتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية.

## التوجه الأفريقي لثورة الفاتح من سبتمبر 1969:-

أسهم الموقع الجغرافي لليبيا – باعتبارها بوابة أفريقيا الشمالية – في أن تلعب دوراً هاماً في ربط الصلات الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية طيلة مراحل الاتصال بين العرب والأفارقة.

غير أن المرحلة التي امتدت ما بين سنة (1951–1969)م قد شهدت سياسة إنطوائية متحفظة في مختلف المجالات الدولية والإقليمية[2].

وظلت مشاركات ليبيا في الشئون الأفريقية مقتصرة على الحضور التقليدي والتمثيل الدبلوماسي المحدود مع الدول الأفريقية المستقلة.

ومن ثم فإن التوجه المبكر لثورة الفاتح من سبتمبر 1969م نحو أفريقيا لم يكن دوراً فاعلاً في دعم العلاقات العربية الأفريقية فحسب، وإنما كان خروجاً من السياسة الإنطوائية والعزلة التي فرضت على ليبيا.

وانطلاقاً من أن العمل الثقافي يسهم في إحياء وتوطيد الصلات الثقافية بين العرب والأفارقة فقد اشتمل التعاون الليبي الأفريقي على التبرع بمبلغ (مليوني) دولار لدعم البرامج الخاصة بنشر اللغة والثقافة العربية في أفريقيا التي تشرف عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألسكو)[3] كما تم تدعيم منظمة (اليونسكو)، بمبلغ (1.220.000) مليون دولار لتدوين تاريخ أفريقيا في موسوعة أو كتاب ترد فيه الحقائق التاريخية خالصة من الدس والتشويه.

---

[1] . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في العلاقة العربية والثقافات الأفريقية . ص.8.

[2] . صلاح الدين حسن السوري: الأوضاع السياسية الليبية 1951-1969، نظرة تاريخية، باريس، 1985ف.

[3] . جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: إتفاقية بين المنظمة العربية والجماهيرية العظمى، طرابلس، 1969ف.

وكذلك أهتم التعاون الليبي الأفريقي بإنشاء المراكز الإسلامية والمساجد والمدارس القرآنية لنشر التعاليم الإسلامية. وقد قامت جمعية الدعوة الإسلامية[1] بمهمة مد البلدان الأفريقية بالدعاة والمدرسين وتوفير المستلزمات التي تتطلبها المراكز الإسلامية، ولقد أثمرت تلك الجهود في تنامي حركة المد الإسلامي في القارة الأفريقية وتوافد الأفريقيون للدخول في الإسلام ومنهم عدد كبير من رؤسائهم وتحولت فيها أفريقيا الوثنية إلى مركز حضاري عالمي تشع منه المعرفة والثقافة العربية الإسلامية[2].

وفي سبيل تعزيز الصلات الثقافية والاجتماعية والتربوية والعلمية والفنية. اهتم التعاون العربي الأفريقي بعقد الاتفاقيات الملائمة بشأن البعثات الثقافية والمنح الدراسية وتعزيز الأبحاث عن طريق تبادل المعلومات العلمية والفنية، والتعاون في مجال الوسائل الإعلامية كالصحافة ووكالات الأنباء والأقمار الصناعية المستخدمة في الاتصالات، وتبادل المعلومات والخبرات في حل المشكلات الاجتماعية، مثل توطين الرحل، كما نص التعاون على تشجيع وتيسير السياحة ودعمها عن طريق الاستثمارات والمشروعات المشتركة في هذا المجال[3].

شهد عقد السبعينات تحولاً واضحاً في مسار حركة العلاقات العربية الأفريقية، فقد قامت الدول الأفريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل تباعاً قبيل أكتوبر وأثناءها وإعلان منظمة الوحدة الأفريقية.

وقد وصلت الرغبة في إنماء العلاقات العربية الأفريقية إلى ذروتها في مؤتمر القمة الأول في القاهرة عام 1977 والذي جسد رغبة تلك الدول في بناء نموذج جديد في العلاقات الدولية بين نظامين إقليميين في شتى المجالات.

---

[1] . أنشئت جمعية الدعوة الإسلامية بناءً على قرار قيادة الثورة عام 1972ف والهدف منها نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا خاصة وجميع دول العالم عامة.

[2] . محمد المبروك بونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية، ط (1)، 1988ف، طرابلس، ص102.

[3] . وثيقة اعلان وبرنامج العمل للتعاون العربي الأفريقي في كتاب تاريخ التطور السياسي للعلاقات الأفريقية ص 108، مرجع سابق.

وقد نتج عن المؤتمر مجموعة من برامج التعاون بين النظامين في المجالات السياسية والاقتصادية والمالية، إلى جانب البرامج التربوية والثقافية والفنية والإعلامية[1].

وقد برز في هذه الفترة إدراك الدول العربية والأفريقية لأهمية التعاون في المجال الثقافي والتربوي فقد وقعت ما يربو على ستين اتفاقية تعاون ثقافي وفني بين عدد من الدول العربية والأفريقية.

وعلى المستوى غير الرسمي (أو المستوى الشعبي) كانت هناك محاولات للاتصال تمت من خلال مشروعات ثقافية مثل (الموسوعة الأفريقية) التي تم إنجاز جزء منها مؤخراً ومشروع كتابة التاريخ الأفريقي، إلى جانب عقد بعض المنتديات والملتقيات الثقافية العربية الأفريقية.

ونذكر منها على سبيل المثال اللقاءات التي نظمتها الجمعية الأفريقية ومعهد البحوث العربية ومركز الدراسات السياسية والإستراتيجية حول العلوم السياسية الأفريقية والعلاقات الثقافية العربية الأفريقية في عام 1978ف، و'المنتدى الثقافي العربي الأفريقي' في مدينة أصيلة بالمغرب منذ عام 1981ف، والتي تهدف جميعها إلى تنظيم الاتصال بين المثقفين والكتاب والفنانين الأفارقة والعرب.

كذلك ينبغي الإشارة هنا إلى قيام عدة مؤسسات وهيئات ثقافية في تحقيق قدر من تنظيم العلاقات وترسيخها ولو بشكل أولي. ومنها أهمية دور اتحاد الجامعات الإفريقية الذي يضم جامعات الشمال الأفريقي العربية، بالإضافة إلى قيام الجمعيات وروابط المعلمين وأساتذة التاريخ والدراسات الأفريقية والعلوم السياسية، والصحفيين، بدور آخر في تأكيد علاقة المثقفين العرب والأفريقيين بشكل منظم إلى حد ما. ثم هناك الندوات واللقاءات الفكرية التي عقدت حول (حركة التعاون العربي) التي قدم من خلالها المثقفون العرب والأفارقة تحليلاتهم لصناع القرار. وقد كان لكل هذه الجهود تأثيرها وضغوطها المعنوية على بعض هياكل التعاون العربي الأفريقي التي وضعت الثقافة كأحد مجالات هذا العمل التعاوني.

1 ـ حلمي شعراوي: العرب والأفريقيون وجها لوجه، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1984. ص 149.

في أعقاب مؤتمر القمة العربي الأفريقي الأول، تكونت مجموعة العمل للتعاون في المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية والإعلامية.

وقد اجتمعت هذه المجموعة في القاهرة في مايو 1978م وأصدرت عدة توصيات. نوصي بتبادل الخبرات ومعادلة الشهادات الجامعية، وإنشاء جامعة أفريقية عربية ومراكز للبحوث لإجراء الدراسات العلمية وتشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر وتيسير حركة تبادل المطبوعات ووضع برامج لدراسة اللغات الأفريقية الرئيسية بما فيها العربية في المراحل الدراسية المناسبة، إلى جانب تنظيم اللقاءات والاجتماعات المشتركة الفنية والأدبية والرياضية[1].

وقد اطلع صندوق المعونة الفنية بمهمة تمويل أنشطة التعاون الثقافي، كما تولت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – كأحد أجهزة الجامعة العربية. متابعة العمل بالتوصيات السابقة، وقامت بتنسيق عملها مع اللجنة الدائمة للتعاون العربي الأفريقي فمن ناحية تقوم المنظمة بجمع المخطوطات العربية الأفريقية وفهرستها، إلى جانب إعدادها مشروع المنح الدراسية ليقدم لاتحاد الجامعات الأفريقية والذي يهدف إلى إعداد هيئات تدريس تلك الجامعات في الجامعات العربية في مختلف التخصصات، ويضاف إلى ما سبق جهود المنظمة في إنشاء المراكز الثقافية التي تتخذ في الوقت نفسه أداة لنشر اللغة العربية[2].

ولعل من أبرز إنجازات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع الإدارة الثقافية بمنظمة الوحدة الأفريقية، مشروع إنشاء معهد ثقافي عربي – أفريقي يرعى مختلف أنشطة البحث والتبادل الثقافي، والعناية بالتراث والمخطوطات، وبالتبادل الثقافي بين الجامعات والهيئات الثقافية وإقامة المهرجانات وأعمال التدريب وإعداد الكوادر في التربية والمجالات الثقافية المختلفة[3].

---

[1]. وزارة الخارجية المصرية: التعاون الأفريقي العربي. 1977-1978، القاهرة، الوزارة، 1978م.

[2]. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: دراسات في العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية، مرجع سابق. ص 10-11.

[3]. محي الدين صابر: العلاقات الثقافية بين أفريقيا والعرب، مصدر سابق، ص 507-508.

وبالرغم من هذه الجهود الجادة والصادقة للتواصل الثقافي بين العرب والأفارقة، إلا إنها لا تزال قاصرة عن تحقيق ما يصبوا إليه كلا الطرفين كركيزة أساسية للتعاون في ظل الاتحاد العربي الأفريقي بدلاً من التركيز الكلي والأساسي على النواحي الاقتصادية فقط.

فالدول العربية النفطية اهتمت بالمشروعات ذات العائد الاقتصادي، وأهملت استثمار مواردها في المجال الفكري والثقافي، وعانت الهيئات الثقافية من الفشل في إقناع المؤسسات المالية العربية بتخصيص موازنة مالية كافية لها وتمويل مشروعاتها في بناء الإنسان العربي والأفريقي المؤمن بحتمية وضرورة التفاعل بين النظامين[1].

ويسعى الغرب – باستخدامه لاحتكاراته الإعلامية ومؤسساته الأكاديمية إلى ترويج أن ثراء العرب من وراء النفط كان على حساب الدول الأفريقية، "حيث رفض العرب بيع النفط للدول الأفريقية بأسعار منخفضة" ويسعى الغرب بذلك إلى نشر صورة سلبية جديدة للعربي تحل محل صورة تاجر الرقيق التي بدأت تختفي عن العقل الأفريقي[2].

وفي غيبة التواصل الثقافي العربي الأفريقي في بعض الفترات تمكنت بعض الدول الغربية من الاختراق الثقافي لهذه الدول بعد محاولات الغزو الثقافي عن طريق البعثات التبشيرية والاستعمار التقليدي، وقد تمثل هذا الاختراق في محاولة إبهار الشعوب العربية والأفريقية بالنموذج الحضاري الغربي وعلى الأخص الأمريكي الذي يمتلك مفاتيح الإعلام في مجال إنتاج المسلسلات والأفلام والإعلانات التي تحمل في طياتها صورة براقة للحياة الغربية تؤثر على جمهور المشاهدين، وترسب بمضي الوقت مفاهيما تؤثر على ذاتهم الثقافية والهوية الثقافية الخاصة بالمجتمع ككل.

وقد مارس هذا الاختراق الثقافي الغربي تأثيره إلى حد كبير بسبب غيبة التعاون العربي الأفريقي على المستوى الثقافي، الأمر الذي ترك المجال فسيحاً أمام التأثيرات الخارجية على الثقافتين العربية والأفريقية.

1. على أبو سن: العرب وتحديات الحوار مع افريقيا، القاهرة، مركز الدراسات السياسية بالأهرام، 1978م.
1. Dunstan Wai: (African Arab Relations), 1983.

ولكن الآن وبعد ظهور الاتحاد العربي الأفريقي إلى حيز الوجـــود نتيجة لإعلان قيام الولايات المتحدة الأفريقيـــة فـــي مدينـــة ســـرت فـــي 1999/9/9م أصبحت الساحة الآن مهيأة لإحياء التواصل العربي الأفريقي الثقافي الاجتماعي من جديد. وخصوصاً وأن الدول الأفريقية ذات إمكانيات بشرية هائلة، وذلك هو جوهر العلاقات الثقافية بين الشعوب.

إن التقاء النخبة المثقفة من العرب والأفارقة أصبح أمراً ضـــرورياً الآن لوضع البرامج اللازمة في حيز التنفيذ لتقوية أدوات التواصل الثقـــافي بينهم لصالح وتفعيل الاتحاد العربي الأفريقي.